د. سهام جميل جاسم Siham Jamil Jassim

التاريخ العباسي /الصف الثالث Abbasid history / third grade

اراء المستشرقين في طبيعة الثورة العباسية والرد عليها :-

اهتم المؤرخون الاسلاميون الرواد بجمع الروايات التاريخية والتأكد من سلسلة روايتها وتركو للقارئ ان يتعرف على الحقيقة كما يراها بنفسه عن طريق تقريرها بالمنهج العلمي التاريخي ٠ وقد عمل المؤرخون المحدثون من شرقيين ومستشرقين على التعرف على كنة هذه الروايات وقراءة ما بين اسطرها وقدموا تفسيراتهم المتنوعة لطبيعة الثورة العباسية ومن الممكن حصر هذه التفسيرات بالاتي :-

١-التفسير التقليدي :- يؤكد هذا التفسير على ان الثورة العباسية لم تكن أكثر من انقلاب أدى الى تحول في الاسرة الحاكمة فنقلها من اموية الى عباسية وكان الدافع بنظر المؤرخين المسلمين العرب الذين تبنوا هذا التفسير الرغبة القوية عند الغالبية من العرب المسلمين لان يكون (ال البيت ) او بنو هاشم اسرة الرسول صلى الله عليه وسلم خلفاء للدولة الاسلامية ٠

٢-التفسير العنصري :- درس بعض المستشرقين الاوربيين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين التاريخ الاسلامي ٠ وحين دراستهم للحركات الثورية ومنها الثورة العباسية لم يسعهم ألا ان يطبقوا المفاهيم السائدة في اوربا في القرن التاسع عشر وهي مفاهيم القومية والصراع العنصري وكان من رواد هذا التفسير (فان فلوتن ) ،و (ولهاوزن ) اللذان اعتبرا الثورة العباسية قامت على أكتاف الفرس٠ ويمكن ان نلخص ر أي فان فلوتن في هذا الموضوع : فقد رأى ان ما جعل أهل اهل خراسان (ويقصد بهم سكان خراسان )يؤيدون دعوة اهل البيت ويحتضنونها عوامل ثلاثة هي :-

١-كره الشعب الفارسي المحكوم للعرب الحاكمين الاجانب ٠

٢-الحركة الشعبية ٠

٣-التوقع الشائع بين الجماهير عن مجيء المنقذ المنتظر او المهدي لينشر العدل ويزيل الظلم ٠

ويضيف فلوتن مفسرا فيقول ان سبب الثورة لم يكن الا نتيجة الأخطاء التي وقع بها الحكام العرب الذين فشلو ان يعاملوا الشعوب الخاضعة لهم والتي اعتنقت الاسلام معاملة مساوية للعرب والمسلمين وقد ادى هذا التمييز في المعاملة الى انبعاث القومية الايرانية كسلاح ذاتي للشعب الايراني المضطهد ٠

اما ولهاوزن فقد اخذ بأكثر النقاط التي أوردها فان فلوتن وكأنها حقائق مسلم بها فهو يقول :(بأن سواد شيعة بني العباس في مرو من الموالي وان شأن الموالي رجح على شأن العرب بمجيء العباسيين ٠ وان اهل خراسان الذين كانوا بنو العباس يستندون اليهم لم يكونوا بمثابة عصبة لبني العباس اساسها وحدة الدم والاشتراك في النسب )٠وهنا يقع بنفس الخطأ الذي وقع به
فلوتن حين ينظر بأن اهل خراسان على انهم فرس٠

ان الخطأ الذي وقع فيه كلا المؤرخين فلوتن و ولهاوزن هو انهما نظرا بمنظار ضيق الى طبيعة الثورة الخراسانية ،فالأول لم يحاول ان يفهم وضع خراسان قبل انفجار الثورة ومثله كمثل المؤرخ الذي يؤمن بقاعدة ونظرية معينة ثم يحاول ان يجمع مادته ليثبت تلك النظرية ،والخطأ في البداية يقود الى الخطأ في النهاية ٠

اما الثاني بالرغم من انه اخذ بأكثر فرضيات فان فلوتن الا انه ادرك اهمية القبائل العربية من اهل خراسان لكنه رأى في الخصومات العصبية القبلية بين القبائل العربية في خراسان الاساس المحرك لفعاليات رؤساء القبائل هناك وأرجعها الى جذورها القبلية قبل الاسلام مما يؤكد اهتمامه بها٠ ولم يعر ولهاوزن للظروف الجديدة التي نتجت عن هجرة القبائل الى الاقاليم الجديدة اهمية تذكر ،والواقع فان فلهاوزن لم يدرك بان الاحلاف الجديدة بين القبائل بالرغم من تأثرها بالماضي كانت قد تطورت بتطور الظروف الجديدة ٠ ان عدم ادراك ولهاوزن لهذا التطور الجديد في العلاقات القبلية في خراسان وتعقيداته هي التي جعلته يظهر بمظهر المؤيد لنظرية فلوتن اكثر من كونه معدلا فيها ولا يذكر انه خطا خطوة صحيحة في طريق فهم الثورة على حقيقتها وذلك بتأكيده على اهمية الانتباه الى القبائل العربية ودورها ٠

وقد شارك ولهاوزن في تفسيره للثورة العباسية عددا من المستشرقين والمؤرخين العرب فمن المستشرقين : ويل ، ونولدكه ، وأرنولد ، وميور ، وبارتولد ، ولي سترنج ، واربري ، ومن المؤرخين العرب المسلمين : جرجي زيدان ، واحمد امين ، وفيليب حتي ، وحسن ابرهيم حسن ، وعبد العزيز الدوري٠ الا ان الدوري عدل عن رايه بعد اطلاعه على مخطوطة (اخبار العباس وولده ) وتبع التفسير العنصري وكذلك احمد شلبي وغيرهم ،ولايزال هذا التفسير للثورة العباسية من اكثر التفسيرات ذيوعا بين اوساط المثقفين والجامعيين ٠

وهناك تفسيرا عنصريا للثورة العباسية يؤكد على دور الترك فيها وتظهر هذه النظرة في كتاب (ارمينوس فامبري ) الذي يقول بانه عثر على مخطوطات تبرز دور الترك في الثورة العباسية ٠ وتدعي دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية بان ابا مسلم تركي الاصل وقد اظهرت مدام ماليكوف بان اسم ابا مسلم الخراساني كثير الذيوع في الاساطير والملاحم الشعبية التركية حيث يظهر بطلا شعبيا تركيا ٠ والمعروف ان ابطال التاريخ المشهورين تدعيهم الكثير من الامم وتظهر اسمائهم في ملاحمها الشعبية وهذ ما حدث لأبي مسام الخراساني خاصة بعد امتداد نفوذه ثم مقتله من قبل الخليفة ابي جعفر المنصور ولذلك فان القول بان الترك لعب دورا في الثورة العباسية قول ضعيف يفتقر الى النصوص التاريخية الموثوقة لأثباته ٠

الرد على اراء المستشرقين:-

لقد فسر المستشرقون الثورة العباسية باعتبارها ثورة قومية وكان من رواد التفسير فان فلوتن و ولهاوزن ٠ رأى فان فلوتن بان هناك ثلاث عوامل جعلت اهل خراسان (ويقصد بهم الفرس من سكان خراسان ) يؤيدون دعوة اهل البيت ويحتضنونها ويقول بان سبب الثورة كان نتيجة الاخطاء التي وقع بها الحكام العرب الذين فشلوا ان يعاملوا الشعوب الخاضعة لهم والتي اعتنقت الاسلام معاملة مساوية للعرب المسلمين ٠ وقد ادى هذا التمييز في المعاملة الى انبعاث القومية الايرانية كسلاح ذاتي للشعب الايراني المضطهد ٠

اما ولهاوزن فقد احذ بأكثر النقاط التي اوردها فان فلوتن وكأنها حقائق مسلم بها فهو يقول : (بان سواد شيعة بني العباس في مرو من الموالي ) ويؤكد بان شأن الموالي رجح على شأن العرب بمجيء العباسيين ويخطئ نفس خطأ فان فلوتن حين ينظر بأن اهل خراسان على انهم فرس فيقول : (ان اهل خراسان الذين كانوا بنو العباس يستندون اليهم لم يكونوا بمثابة عصبة لبني العباس اساسها وحدة الدم والاشتراك في النسب ) ويقول ولهاوزن ان اسقاط الدولة العربية جاء من قبل من اسلم من اهل خراسان من العجم الذين قاموا بمحاربة السيادة العربية مستندين الى الاسلام وهو يرى ايضا بان حكم العرب انتهى بمجيء العباسيين وان الفارسية انتصرت على العربية تحت ستار الاممية الاسلامية ٠

ان اراء المستشرقين وتفسيرهم للثورة العباسية قادتهم اليها بيسر امور عدة منها :-

١-تطبيقهم المفاهيم السائدة في اوربا في القرن التاسع عشر وهي مفاهيم القومية والصراع العنصري حين دراستهم للثورة العباسية ٠

٢-انهم نظروا بمنظار ضيق الى طبيعة الثورة الخراسانية ،ومثلهم كمثل المؤرخ الذي يؤمن بقاعدة ونظرية معينة ثم يحاول ان يجمع مادته ليثبت تلك النظرية والخطأ في البداية يقود الى الخطأ في النهاية ٠

٣-ان اصطلاح اهل خراسان اتخذ من قبل بعض المستشرقين ليعني غير العرب من اهل خراسان أي الفرس وليس هناك مبرر لذلك على الاطلاق فمصادرنا الاصلية تتكلم كثيرا عن العرب من اهل خراسان ،يقول الطبري عن قائدين عسكريين: ((وهما قائدان من اهل خراسان من قبيلة طيء ))٠ وهناك الكثير من العرب الذين استقروا في خراسان تسميهم المصادر الخراسانيين ،ولعل الغموض والارتباك عند المؤرخين حول هذا الاصطلاح المهم يعود الى سياسة الخلافة العباسية نفسها التي حاولت ان تحتفظ باهل خراسان ايا كانت قبيلتهم واصلهم ومنطقتهم ككتلة واحدة او فرقة واحدة في الجيش العباسي تتميز عن الفرق الاخرى اليمانية والمضرية والربيعية ،ونتيجة لذلك فان الباحثين اعتبروا اهل خراسان فرسا في غالبيتهم لتميزهم عن الفرق

العربية الاخرى وما درى هؤلاء الباحثون بان اغلبية رجال الفرق الخرسانية في الجيش العباسي عرب من اهل خرسان. ثم فهموا من اصطلاح سكان القرى التي وردت في بعض روايات الدينوري والطبري انهم سكان البلاد المحليين من الفرس الا اننا لاحظنا بان العرب سكنوا القرى مع عوائلهم

٤-وقد أخطا المستشرقون حين نظروا على نقباء الدعوة العباسية ودعاءتها على انهم من اهل خرسان من العجم مستندين في ذلك على انهم تلقبوا او نسبوا الى المدن الفارسية ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث عن اصلهم الحقيقي وقائمة اسماء نقباء الدعوة العباسية التي ذكرها بعض المؤرخين تشير الى ان اكثرهم ينتمون الى اصل عربي من قبائل عربية كبيرة ومعروفة استقرت في قرى ومدن خراسان فانتسبوا اليها مما اوقع المستشرقين في الوهم فمثلا جديع بن علي الازدي الكرماني ( الأزد :اصل عربي) الكرماني ( مدينة فارسية ) . والفضل بن سليماني التميمي الطوسي( تميم : اصل عربي ) الطوسي( طوس :مدينة فارسية)

٥-ان مزاعم بعض المستشرقين من اهل التميز الاجتماعي والاقتصادي الذي مارسته السلطة الاموية تجاه الموالي الذين اسلموا من القرى ادى الى انبعاث القومية الايرانية كسلاح ذاتي للشعب الايراني المضطهد مزاعم غير دقيقة اذ انهم اهملوا سياسية الامويين الادارية والمالية في خراسان وردود الفعل لدى خراسان من عرب وعجم تجاه هذه السياسة وموقف السلطة الاموية منهم فآثار هذه السياسة طال العرب والموالي من اهل خراسان على حد سواء فالعرب لم يكونوا كلهم حكاماً واصحاب امتيازات وانما كانت جماعة منهم تشاطرا الفلاحين واهل القرى الايرانيين في دفع الضرائب للدهاقين الفرس الذين يدفعونها بدورهم للولاة العرب . فالعرب المستقرين من اهل خراسان فقدوا امتيازاتهم بينما الكتلة الحاكمة لازالت تتمتع بامتيازاتها تلك الامتيازات التي كانت تتقاسمها مع الأرستقراطية الايرانية (الدهاقين ) الذين سيطروا على الإدارة واحتفظوا بالكثير من الامتيازات . ويلاحظ بان المقاتلة العرب وهم اصحاب الامتيازات كانوا متذمرين من السلطة الاموية

التي اتبعت معهم سياسية التجمير أي اجبراهم على البقاء في ثغور الدولة الاسلامية شتاء او كانت فضلا عن ذلك تسلمهم فيأهم وغنيمتهم وتأخذ اكثر من حقها منهم . اذن لم تكن هذه السياسة مبعث تذمر الموالي من الفرس وحدهم بل العرب ايضا من اهل خراسان . ان هؤلاء العرب المستقرين سكان القرى في خراسان هم الذين تقاطروا من قراهم لما سمعوا نداء الثورة واشتركوا فيها وهذا ما يؤكده الطبري في قوله (فوافاه- اهل ستين قرية ).

٦-من المشهور ان المستشرقين . كانوا يتحاملون على العرب وتاريخهم ويحاولون ارجاع كل ما هو عربي الى اصل اعجمي .

٧-وضعهم فرضيات واحكام مسبقة ثم جمعهم للمادة التاريخية كيفما اتفق لا ثبات ودعم تلك الفرضيات .

٨-اعتمادهم على الروايات والنصوص التاريخية الشاذة والغامضة والمرتبكة او اخذ جزء من الرواية دون الكل لتأكيد نظريتهم وتحميلهم في تفسير النصوص والروايات التاريخية اكثر مما تتحمله من تفسيرات بعيدة عن الحقيقة العلمية ثم انهم لم يتأكدوا من اصل الرواية وصحتها باعتمادهم المنهج العلمي

٩-عدم فهمهم لوضع خراسان قبل الثورة العباسية واغفالهم لاستقرار العرب فيها وتأكيد قيادة الدعوة ووصيتها للدعاة بالاعتماد عليهم (العرب المستقرين) في الدعوة وقيام الثورة العباسية.

١٠-ان هذا الرأي (بان الدعوة العباسية قامت على اكتاف الفرس لا يقف امام الراي العلمي لان اصل الدعوة صادر من رجالات بني هاشم بفرعيه العلوي والعباسي حيث اوصى ابو هاشم قبل وفاته الى محمد بن علي بن عبدالله العباسي سنة ٩٨ هـ بقيادة الدعوة العباسة.

١١- ان ابرز الدعاة والموالين من العرب الذين ايدوا الدعوة لإل البيت سنة ١٠١هـ ومنهم سليمان بن كثير الخزاعي ويزيد بن النهير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وغيرهم .

١٢-ان المؤرخين استندوا على وجود شخصيتين ابو سلمه الخلال وأبو مسلم الخراساني وعليهم بنوا دعواتهم وان قدرة ابو العباس على تصفية ابو سلمه الخلال ونجاح ابو جعفر المنصور في القضاء على تمرد ابو مسلم الخراساني خير دليل تفنيد هذا الرأي٠

١٣- لو ان الدعوة قامت على أكتاف الفرس لما ساندوا الموالي (العجم )جيش الأمويين بقيادة نصر بن سيار ضد الجيش العباسي في معركة جرجان٠

١٤- ان الفرس قاتلوا الى جانب الأمويين والعباسيين تابعين للقبائل العربية من اليمانية والربيعية التي كانت لها ثقل في الدعوة العباسية٠

اذن ان حوادث الثورة وتطوراتها قد كشفت بأن الثورة كانت قضية عربية أصطدم فيها العرب من أنصار الأمويين بالعرب من أنصار العباسيين٠ وقد حاول كل طرف ان يكسب الى جانبه من يستطيع من القبائل العربية الاخرى في الأقاليم ،ولقد اشترك الموالي في احداث الثورة على ان دورهم لم يكن كبيرا أو مهما بالمقارنة بدور القبائل العربية كما ان اشتراكهم لم يكن بدافع(( قومي )) كما يحلو للبعض تفسيره٠ فلقد حارب الفرس كموالي تابعين لقبائل عربية ولذلك نشاهدهم يحاربون في الجانبيين الأموي والعباسي ٠

المصادر والمراجع


١-ابن الاثير ، الكامل في التاريخ

٢-ابن كثير ، البداية والنهاية

٣-الطبري ، تاريخ الرسل والملوك

٤-ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك

٥-ابن خلكان ، وفيات الاعيان

٦-اليعقوبي ن تاريخ اليعقوبي

٧-ابن خياط ، تاريخ خليفه بن خياط

٨-ابن قتيبة ، عيون الاخبار

٩-ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر

١٠-ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني

١١–حاجي خليفه، كشف الظنون في معرفة الاسامي والفنون
١٢–الذهبي ، تاريخ الاسلام
١٣–السيوطي ، تاريخ الخلفاء
١٤–المسعودي ، مروج الذهبي
١٥–المقريزي ،كتاب السلوك
١٦–القلقشندي، صبح الاعشى
١٧–ولهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها
١٨–ادم متز ، الحضارة الاسلامية
١٩–شاكر مصطفى التاريخ العباسي
٢٠–فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية
٢١–بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية
٢٢–بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية
٢٣–حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام
٢٤– البغدادي ، تاريخ بغداد
٢٥–عبد العزيز الدوري ،العصر العباسي الاول